بهذا وضع ميخائيل شخصية وصفي في وضع يصعب تصديقه: اشتهاء المحارم ومحاولة اقامة علاقة جنسية مع ابنة اخيه القاصر.

لقد اراد ميخائيل ان يقدّم، الينا، في هذه الرواية، وجبة دسمة عن إفلاس الايديولوجيات اليسارية، محاولاً ان يؤكد ان السبيل امام مردوخ وشولا هو فعل عكس ما يؤمنان به تماماً. ويجدان راحتهما بعد ان يلبس مردوخ ثياب الجندية وتترك شولا الحزب نهائياً. هنا التحرّر يبدأ. وكذلك يصل الشاعر فتحي الى النتيجة عينها، حين حاول تقبيل شولا في النهاية: «كان مجرد عربي، وكانت هي مجرد يهودية» (ص ٣٧٢). هذا الحاجز الذي قام بين فتحي وشولا ما هو الا تأكيد لاستكشاف الشخصيات لذواتها: كل واحد من هاته الشخصيات تنزع الى الحل القومي، ولم يبق من شيوعية هذه الشخصيات سوى الكلمات الرنانة التي يتبادلونها فيما بينهم.

لقد اثبت الكاتب ان لا لقاء يتمّ عبر الايديولوجيا اليسارية (الحزب الشيوعي). فمع كل الشعارات الوحدوية والاخوية، والاهمية التي يرفعها الحزب للمساواة بين القوميات، فانه لا لقاء حقيقياً بين هذه الاطراف. والانكى من ذلك هو ان لا لقاء، ايضاً، على المستوى الشخصي: فعلاقة دفنه مع الشاعر فتحي تنتهي بحكم مواقف الشاعر المقرفة؛ اذ انه يبحث عن فتاة بتول. وعلاقة شوشانا بفؤاد تذوي في ضوء الواقع القاسي وشعور فؤاد الزائد بالنقص، واميل يتحوّل الى لعبة في ايدي عماليا المسيطرة.

لقد اكد الكاتب ميخائيل (عبر تنميط الشاعر، وقولبته، وتشويه الشخصيات العربية الاخرى) عدم امكان اللقاء. وثمة اعتراف يجدر تسجيله لصالح الكاتب، وهو انه استطاع ان يقدّم الينا شخصيات عربية تنبض من الواقع، لكنه لم يدّخر جهداً في ان يقذف عليها مواقفه وآراءه وشططه؛ لذا، بدت الشخصيات العربية، وخاصة شخصية الشاعر، شخصيات مقولبة ونمطية جاءت لتخدم فكرة الكاتب الاساسية: خيبة في العالم العربي (لا لقاء بين الشيوعيين العرب واليهود في العراق) وعدم امكان اللقاء بين افراد الحزب الواحد في حيفا.

والنهاية هي ان كلاً من هاته الشخصيات تبحث عن ملجأ قومي تلوذ به في ضوء الصراع القائم. بناءً على ذلك، نرى ان محاولة ميخائيل، منذ البداية، هدفت الى النفاذ الى دواخل ابطاله، في محاولة منه لتأكيد عدم امكان اللقاء تحت المظلات اليسارية، والشيوعية خصوصاً. وممّا غذّى شعور الكاتب بهذا الامر هو خيبته منذ فترة قدومه الى البلاد، كما جاء في روايته «متساوون، ومتساوون اكثر».

هذه الازدواجية التي يحملها الكاتب في داخله ما زالت تعود وتتردد في سائر اعماله: ثمة عربي ويهودي دائماً؛ ثمة خير وشر؛ ثمة انقسام بين عالمين (عربي ويهودي). نعترف بأن هذه الثنائية قد تفيد الكاتب؛ لكننا نرى، من جهة اخرى، انها قصّرت من فهمه لحقيقة الصراع الدائر. ومهما كانت هذه الثنائية قائمة وموجودة على سبيل الافتراض، فانه ليست هناك ثنائيات مطلقة، كالخير والشر وما اليهما. ثمة خير وشر في الشاعر. لكننا نرى ان الشاعر ينزع الى الشر دائماً (وهذا قد يكون مبعثه التقسيم الداخلي النابع من ذات الكاتب في الاساس). ولو ان الكاتب استطاع ان يتخلّص من الاسقاطات والانتهازية لاستطاع ان يقدّم الينا اعمالاً انزه واجدر ممّا قدّم. لكن هذه الازدواجية، من ناحية، واستماتة الكاتب لتأكيد مقولة «يؤمنون بشيء ويفعلون شيئاً آخر»، دفعته، في النهاية، الى تشويه حقيقة الواقع والاسقاط عليه. ومع كل ذلك، لم يستطع الكاتب ان يصفّي حساباته مع كل اليسار والواقع؛ فلقد نسي، او تناسى، ان الصراع هو الذي يشوّه الواقع، وراح يصفّي حساباته